محلـــــــة الـــــطـــــاق

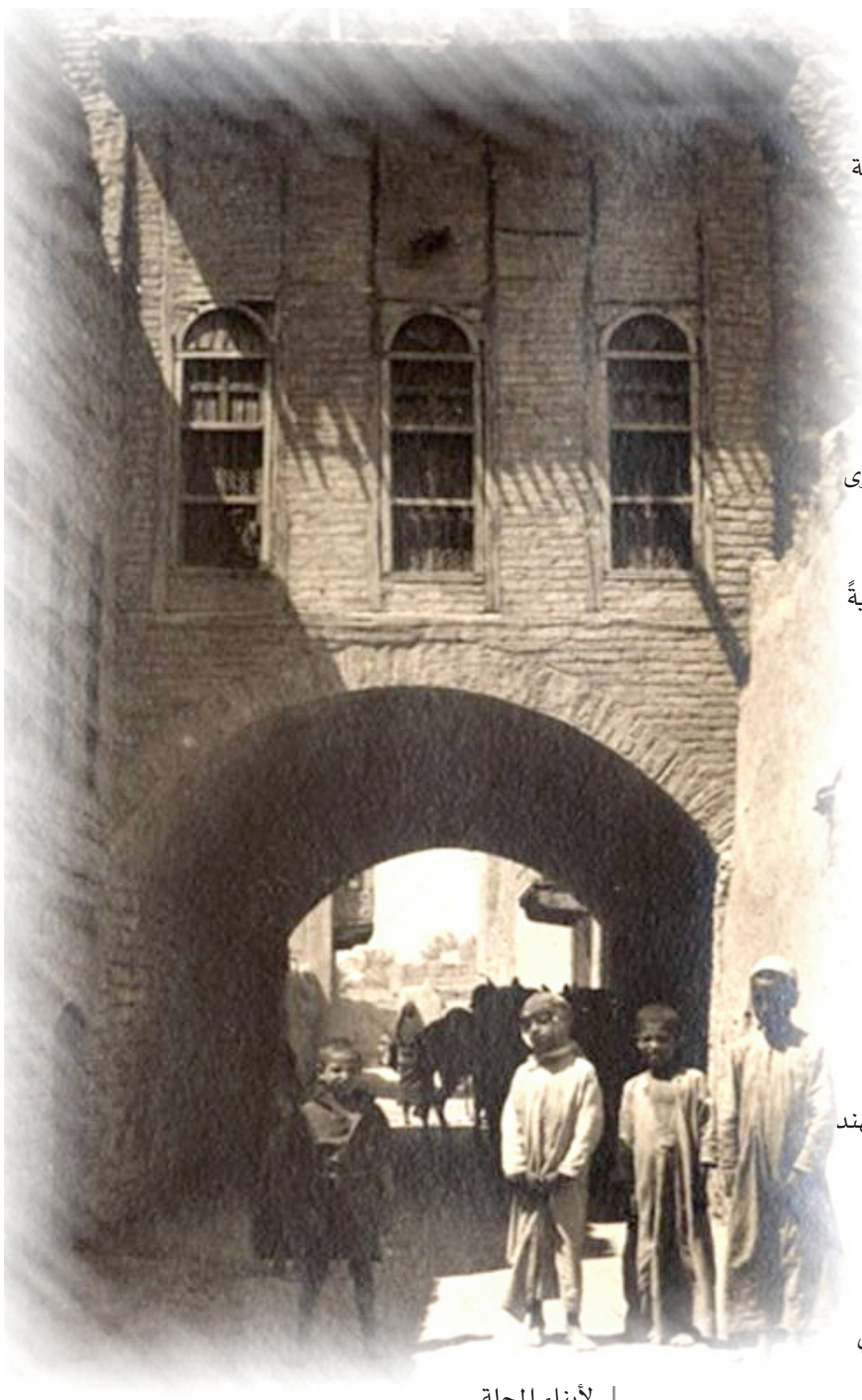

شعر: موفق محمد

(لم أكن شاعراً في يوم ما... فأنا راوٍ لشاعرةٍ اسمها الحلة)

قبل ان تموت أمي
سقطت دمعةٌ من رحمها
فكانت هذه الشجرة
قالت لها: كوني أماً
فرفَّ في أثدائها اليمام
ولونَّت أغصانها
وعبأت ثمارها ما نشتهي من عسل السلام
قالت لها: كوني غيماً
فطار منها برعم منتفضُ الجناح
يشدُّ في الهواء
غيماً ثقيل الماء
فاشتبكت أغصانها لابسةُ عباءةَ
السماء
أخذت أمي حبةً من عنقود النجوم
المتدلي من سقفنا
وخيطاً من ضياء القمر خبأتهُ في عيونها
وقبّلتنا خاشعة متصدعة وماتت
أسم الأم: بدرية عبد الله
المهنة: ربةُ حب وسلام
تشرقُ قبل الشَمس على شط الحلة
توقظ أمواجهُ مبسملةً
لتملأ جرتها من حليب الفرات
وتطوف بها سبعاً حول قبر أبي
الراقد تحت برحية غرسها
بيديه في سرّة الفرات
لتحلّيها من صبره
وتعمدنا واحداً واحداً
بِمه
آني جبتك بشباط الأزرك فجراً
وحين قمت لحلب البقرة
قالت لي ام أبيك
يا نكسة اغتسلي
فذهبت مرتبكة الى شط الحلة
فأخذني الجاري
فمدت لي البرحية حبلها السري
وأنقذتني من ثلجه
عشرةُ أيتام كنا حين ينامِ النهر ننام
ونقرأ حتى الصباح قريباً من قبر أبي
وحين يلثغ أخي الأصغر الذي لم يره
بنار نوري تبتسم أمي
وتتفتح وردةٌ في شاهدة القبر
وارى ابي بنظارته السميكة
وهو ينقش بمساميره المتنوعة أسم أمي
على المُهر❖ الأصفر
تلك مهنته
ويختم قلوبنا به
لتطير محلقةُ بالضياء
فمن خصر في أسم أمي يرقص القمر في السماء
في المساء ينحني أبي ليلقي التحية على معلمه
فيردُ النهر بأحسن منها
ويرمز له بموجة مكسورة الجناح
فيلبي.. يخلع نعليه ويدخل النهر ساجداً
يدعو الامواج بأسمائها
ونحن نرفرف حوله
والطيور تشرب من راحيته
فيعطي كل موجة منقارها لتزق فراخ
الغيوم الحالمة في برحيته
فنرى سرب غيوم يلمع اجنحته في الفضاء
وقبلاً ضوئية تتقافز في نخلة تتدلى من السماء
❖❖❖❖
عشرة أيتام كنا حين ينام النهر ننام
في منتصف الليل
وفي محلة الطاق
حيث ينحت النهر خصره
تاخذ امي مكانها في الشريعة
فيأتي النهر إلى حضنها
وبصوت أعذب من كل مياه الأرض
تهمس في أذنه:
(دللول يالنهر يبني دلّول)
فينام النهر من خمر في بحتها
وترضعنا من نعاسه كُننام
في الصباح تهزُّ جَنيناً
يهرسُ في سماء صافية في وجهها
وعينين عسليتين
ونجوم تضيء في تباعتها
وهي تقرأُ لنا سورة ياسين
يخرج منها اللؤلؤ والمرجان
فنطير عصافيراً بين النجم وبين السورة
ونزقزقُ في حمام النسوان
كان السمك يأتي من النهر الى بيتنا
راقصاً بشباك أبي
وفي زورقه الذي يدور بنا ليلاً
لنجمع ما ينثُّ القمر
ونسقي الرضع من الفسائل
وأطرب من رنة مجدافه
وصوت سعدي
حبيبي من تكل لمك ولج يوم
إتصل كلبي بكلبه
فتتصل الامواج بنواح أزلي
يخرج من جرار خبأ بها العراقيون
أوجاعهم منذ بدء الخليقة
فليس غير الألم والحسرة
وروحاً تسكن بغداد مخلفة قلبها في البصرة
ومدلولة تسيس الشموع في شط الحلة
تلمُّ ندى الموج لتكتب على وردة الماء
يا قمري
في صوتك طلعُ النخل
أفما آن للفراشات التي تتطاير في جسدي
أن تبلل أجنحتها من ترابه
وتحترق في سورته
لتعيد للسنبلة حبها
قبل ذهابها الى السوق
توصينا ان لا يزعل علينا الشط ثانية
وما أدراك ما زعل الشط
فنقبلُ أمواجه
ونطلب منه المغفرة عما جنيناه ليلة امس
حين فتحناه صارخين:
يا حوته يا بلاعة
هدي كمرنه الليلة
فلقد زعل علينا الشطُ والبطُ
وأيقظنا النوارس من نومها
فباتت تتعثر في طيرانها
قالت لي موجة تتلألأ في جدائلها
النجوم
سلِّم لي عليه
فألتفت قلبي
ليراها تقفز عكس التيار
وحين تعود من السوق
وهي تترل برفق الغيمة التي فوق رأسها
وتنفض شيلتها❖ وتغمرنا بهلهولة مائية
فيفور التنور من دعاء يتأريجح في
صدرها
ما أضيق العالم
وما أوسع أزقتنا
ونحن نرى العواصم مثل رؤوس
الدبابيس على الخارطة
فمن ورط تشرشل بأهالي الطاق
ونرقص نرقص
حاتى يمسك النهر شاربه
ويقسم لنا بموجة تغفو على يده اليسرى
فارشاً شليله
لتسيل الطفولة بين الأزقة والنهر
بين النهر والضفة الاخرى
بين الضفة والشمس التي تستحم عاريةً
في النخيل
معلقة قلائدها وأقراطها في أعذاقه
بين القلائد والاقمار التي تشرئبُ
في صدور الصبايا
فنخجل من رعشة تعترينا
ونحن نوقدُ دموع أمهاتنا سنابلاً
ونغرسها في خاصرة الشط
لتشرب منها السواقي العانسات
يا لناي النواح
حين نربط ساقيةً يتفطر طينها
قرب اخرى تسف بها الرياح
وننفخ
فتنسل القرى من اجداثها
ولا أحدٌ ينتظرها
فتغيب كعادتها في الجحيم
منتظرةً صوراً آخر
حين يعود السنونو الى بلاد السند والهند
يتبختر بين أقرانه
لأنه يمتلك عشاً في محلة الطاق
وفي الغرفة التي فل بها طه باقر رموز
الكتابة المسمارية
والتي رأى فيها البصير النور فكتب
يا موطني أولستُ من أبناكا
والتي كتب بها الشيخ الطاهر أساتذتي
وغنى بها عبد الجبار عباس
تعال وشيل هل الأحزان عني
مع عصابة من المجانين بحب الحلة
وبخمرها المعتق في جنائنها المعلقة
إنهم يلقون بنبل ما على ظهورهم من أسى
ويفتحون كتاب النهر
فتشرق الحلة في عيونهم
وهم يحملون الماء الى اعشاشنا
فتغير الطيور المهاجرة بوصلتها
حين يصل النهر الى محلة الطاق
قادماً من بابل
محملاً باللقى
وهو يسير بأمواج واثقة
حاملاً راية الخصب
يهتف في امواجه: يميناً أنهمري
فيغمر الماء بيوتنا ويبدأ الطلق
والمواليد المائية تترى
فيعلق القمر أسماءهم في نجومه
ويذوب في حلم الأمهات
ليشبع الرضع من ضياءه
فالحليون جميعاً من مواليد حليب القمر
إنّ لي خالاً إسمه شط الحلة
شاعراً كان
صاعداً في سلم الموج الى أطول نخلة
داعياً للخصب دجلة
منشداً ما تكتب الشمس على الموج
لأبناء المحلة
فمتى أكتب مثله
مرّةً خبأ لي في موجة الراقص قبلة
قال اكتبها
وكانت في جنون الشعر طفلة
كبرت في الماء جاءتني مساءا
حرةً تنفضُ عطراً وضياءا
فتعانقنا طويلاً
وملأنا الأرض سحراً آسراً حلواً بليلا
ثم نمنا في سرير الماء دهرا
وتوضأنا من الحب الذي أصبح نهرا
أين أنت الآن يا أمي
ويا خالي الذي ألبسته الحروب
بدلتها
ومدت عليه الجسور رتباً عسكريةً
فطحنت امواجه
فلم تعد قادرةً على حمل قارب
نكس بياضه
خوفاً من القناصين
❖❖❖

❖ محلة الطاق واحدة من اقدم محلات مدينة الحلة تقع في الصوب الكبير قريباً من شط الحلة
❖ المهر: الختم
❖ الشيلة: قطعة قماش تغطي الرأس

عبـــور الغبـــار.. جـــوهـــر الـــروح الانـــســـانـــيـــة تكـمـن في الـتـســـامح

بـــاز الـبـــازي
مخـــرج ســـيـنـمـــائـي

كان للسينما الكردية حضورها اللافت في مهرجان الفلم العربي السابع في مدينة روتردام الهولندية من خلال المخرج الشاب شوكت امين كركي وفلمه الموسوم "عبور الغبار"، الفلم من انتاج وزارة الثقافة في اقليم كوردستان العراق، والذي حصل مؤخرا على جائزة أفضل مخرج في مهرجان سنغافورة السينمائي الدولي.

يروي قصة واقعية لطفل عربي –عراقي يعيش غمرة احداث الانهيار الكبير لمدن وقرى ومؤسسات النظام البائد في المناطق الكردية من كوردستان العراق.

" زاد" شاب كردي من البيشمركة يقود سيارته "البيكب" بصحبة زميله ومسؤوله رشيد ذوالساق الصناعية ينطلق الاثنان في مهمة لايصال مأونة الطعام الى رفاقهم المقاتلين الذين يشنون حربا ضارية ضد الاعداء من زمر النظام السابق المنتشرين في مدن وقرى كوردستان العراق.

الوقوع في الفخ... " ازدواجية المصير"

بـ" المصادفة" يلتقي زاد ورشيد طفلا عراقيا لعائلة عربية،اثناء تأديتهم لواجبهم المقدس، وحيدا من دون عائلته،متشنجا مسمرا بصورة محكمة في الارض تحتويه عن قرب دوامة القتل والتدمير واصوات الانفجارات والملاحقات العلنية في ازقة المدن والقرى المتصارع عليها لأخذ الثأر ومظاهر الانتقام حتى اللحظات الاخيرة، الانتقام من كل شيء من قبل الطرف المكسور. ويعاني الطفل من صدمة هلع نفسي وخوف هستيري.

تبذل محاولات للبيشمركة لتهد ئته واعادة توازنه ورشده للتحقق من هويته ومحاولة مساعدته قدر المستطاع وللمضي بأكمال مهامهم. أخيرا يكشف الطفل عن اسمه وينطقه بتردد متحير " آني اسمي صدام"...وسرعان ما يتكشف انعكاس ردود هذا الكشف عند الاخرين في ملامح الطفل ليحوله الى كهلاً مرتجفاً محملاً با لخوف والمرارة، والشعور القوي بالذنب والالم فينفجر باكيا، وتتكون مجمل خريطة العراق الجيو- سياسية القلقة في عضلات وجهه اليافعة..ولسان حالة يقول مالي ولهذا العبء في هذا الاعتراف وكأني المعني بمصائب هذا البلد وما حل به... تستدرجنا عبرات بكائه الاخيرة لبعض الارتياح وكأنة يزيح عن نفسه بعض هول عن كاهل اسمه.

بعد تداعيات هذا الاعتراف القصير المجاني، يستقيم بقامته ويقرر امام زاد ورشيد تحمل مسؤولية اسمه وتبعاته فها هي حالة الفخر الذي عاشها طيلة هذه الاعوام تتحول الى نوع من الذنب والذل، كان خائفا من الموت على يد البيشمركة.. انهم " الأعداء" العصاة كما كان يطلقون عليهم في زمن دكتاتور يحمل اسمه، ينبت لهم قرون في رؤسهم ويزحفون في الظلام من بين احجار الجبال ويقتلون الاطفال،اجتهد النظام البائد في تشويه صورة "الانصار" البشمركة التي تخييف جميع الذين كانوا يحملون راية القائد الاوحد وديماغوجيته وشوفنيته تجاه الآخرين حتى عند الاطفال، وان لم تكن نهايته "صدام الصغير" بالطبيعية العادية فلتكن اذن على يد البيشمركة، فقد فقد الامل بالحياة،فالموت واحد، لونه واحد.. تخلوا عنه أولئك الذين منحوه "شرف" هذا الاسم ورحلوا هربا من العقاب على ايدي مناصري الحرية والسلام، فعليه ان يطلق اسمه في الهواء ويتحرر من هذا الدايناصور الذي يطارده في باطن اعماقه وحيثيات هويته والذي سيغمره بكوابيس من الرعب في الايام القادمة، وان كان لامفر من الموت فليكن اذن.

هل ستتحقق مخاوف" صدام الطفل" وتفترسة البيشمركة ؟ هذا بالتحديد هو المشهد المحرك " والذي اصبح اساس البناء الدرامي اللاحق على طول خط زمن الفلم...

المخرج يثير سؤالاً عميق التوغل في بناء اساس المشروع المستقبلي للمجتمع بتقديمه ملامح اولية لشكل التناحرات الحالية والقادمة عند الشخصية العراقية ويفتح بهذا المشهد الابواب بقوة "السلم" لنتعرف على كيف ستعمل وتتفاعل ازدواجية "الفرد" في داخل مجتمعه العراقي بكل اختلافاتها السياسية والعرقية، خصوصا انها المعضلة الحقيقية في الصراع العراقي، والعقدة المريرة التي يعاني منها العراقي اليوم، هذا لايعني انها لم تكن موجودة ايام الحكم الدكتاتوري ولكن بروزها بوضوح وتمحورها في اولويات صراعه جاء لحظة سقوط الصنم. واليوم يبدو التعامل مع هذه الثيمة قاس ويربك النفس حتى النخاع، ولكن هناك حل على مايبدو عند مخرجنا الشاب، انه من مواليد ١٩٧٣ اي اول جيل لنظام صدام حسين، عمليا سيكون اكثر فهما لواقعه من الاجيال الاخرى وهو في نفس الوقت الضحية المباشرة لهذا النظام...

اذا كيف وما الذي ستكون عليه ردود فعل البيشمركة حيال هذه الازمة ؟

خلاف حاد ينشب في موقف سائق الشاحنة ورفيقه المسؤول العسكري، هل نترك الطفل صدام لمخالب الموت؟ ام نساعده في البحث عن عائلته وارجاعه الى اهله حيا يرزق... يقول رشيد " أتركه فريسة للموت، ليذهب الى الجحيم،لا... علينا مساعدته ياكاكا... الا تسمع ان اسمه صدام،اتركه، اللعنة عليه اتركه، علينا ايصال الطعام لرفاقنا البيشمركة.. ". جاء هذا الحوار المقتضب والبسيط ليضع المخرج متفرجه في الحلقة الاولى " الضيقة" وهي حلقة البداية التي اختارها المخرج في سرد قصته وتحديد الازمة من ثم يقدم لمتفرجه المساحة التي يستحقها في متابعة مشاهدة عالم حقيقي " انه واقع عالمه" عالم الاغتراب والتناقضات.

يطرح الممثل الرئيسي زاد وبجرأة موقفه مع رفيقه المقاتل بخصوص هذه الازمة ولا يرتضي لنفسه الانجرارلهمجية العاطفة الانسانية الموحشة ولا يتردد في موقفه الاخلاقي المنحاز لانقاذ صدام الصغير، كان حادا في موقفه ومتفهما لقلق صديقه ورفيقه، ولكن.. " سوف ابحث عن اهله واعيده الى دياره، ياكاكا " بهذه الجملة تم تثبيت ثيمة الفيلم وتوسعت الحلقة الصغيرة الى موضوعة للفعل، سنتعرف على خط الفيلم العام ومسار شخصياته والمكان الفعلي لتطورها وتطورات زمن الحدث. كان هذا كافيا لأن يضغط المخرج حكايته ويبدأ يدفع الازمة " المشكلة " والشخصيات الى ذروتها في الزمن القادم .. كان الفلم يتقدم نحو الصعود والذي باتت حلقته تضيق من جديد في نهايات الفلم، بمقتل بطله، وهنا باعتقادي يكمن سر نجاح عبور الغبار، عندما نريد ان نصل الى هدف الحقيقة الصادقة "نسبيا" فسيكون اول من سنقدمه قربانا للآخرين هو البطل، هذا في حال احتاجت قضيتنا لتقديم هذا القربان.

الطفل لايتحدث اللغة الكردية والبيشمركة لايتقنون العربية غير بعض المفردات البسيطة في قاموس رفيقه رشيد الذي ليصبح هو المترجم بين زاد والطفل، رشيد الذي يحاول اهمال الطفل وعدم الاهتمام بمصيبته حتى انه لايريد بناء اية علاقة مع هذا الطفل.. ونراه يتألم في دواخله، وهذا ساعد في خلق مناخ عام للفيلم، دافئ وعالي الانسانية في التفاهم مع بعضهم ورفع الحوار الى نكهة النكتة وفي الوقت نفسه اظهار حالة المرارة الانسانية مبنيا على عقدة " ازدواجية المصير " الجماعي الذي آل اليه الفكر الانساني العراقي بجل فصائله اليسارية والديمقراطية والدينية والقومية ابان الحكم الصدامي، هذه الازدواجية لها اسبابها واليوم نلمس ونتعامل مع نتائجها،بألم.

مواجهة القدر العراقي

هذه "المصادفة" وضعت المناضلين في حرج وحيرة من امرهم وقلق عميق اشتاح وعيهم،واسئلة بدأت تنشط في مخيلتهم والتي لم يكونوا حتى بـ "المصادفة" يتوقعون حدوثها يوما ما ولم يفكروا ولا حتى طوال فترة نضالهم بأنهم سيواجهون هذا القدر،فكيف الآن.. ان حل اشكاليات مصادفة كهذه محتاجة الى ارضية وحالة نفسية اخرى ليكون بمقدورهم التفاهم والتجادل والتفاعل معها، ولكن في مثل هذه الظروف تكون صعبة على ابطالها وشخصياتها ان تتعامل بروح نقية وصالحة، تحتاج النفس العراقية الى زمن اكثر سلاما وأمنا ليتسنى لها ان تدخل عوالم الازدواجية والانفصامات المجتمعية لحل معضلاتها واكتشاف علاج لها. عليك ان تكون معافى من الكره والانانية والجريمة والخداع والانتقام وان يكون السلم الاخلاقي والقيمي غير مقلوب على قفاه، اذن ماهو الحل مع هذا الطفل، كيف سنساعد "صدام" الطفل على الحياة ؟هل نغتنم فرصة الانتقام؟ هل هذا ما علينا فعله؟ كيف اذن علينا ان نتصرف! بعد كل هذه السنيين من النضال ! وماذا عن ملايين الضحايا الذين يتنفسون ويطلقون صرخاتهم من تحت اكوام من التراب والحجر والرصاص في باطن الارض العراقية.

بالتأكيد سينتصر الوعي وعفوية الانسان الخير في مساعدة الطفل وتنتصر الفكرة القائلة... التسامح حتى لو كان هذا على حساب الحياة بأكملها،هذا ما علمتنا اياه الجبال ايام النضال، فوحدة المصير هي التي جمعت الكردي والبصراوي والسني والشيعي والشيوعي والقومي والوطني جنباً الى جنب كل تلك السنيين لهدف واحد ونشأت قيم مشتركة واهداف مصيرية ليس من السهل ان نتجاوزها اليوم ان كنا نريد ان نكمل المسيرلرفع الحالة الانسانية لشعبنا الى مستويات ارقى وانبل،... اذن التسامح، هذا ما يمنحنا آياه ويطالب به زميلنا المخرج كركي من شعبه العراقي!!!. وقد استطاع تحويل ابداعه الفكري والنضالي بذكاء على الشاشة الكبيرة.

سينما التسامح ونظرة حب الى المستقبل

.. حتى لو ان الطفل اسمه صدام، هذا لايعني انه ليس ضحية عائلة اومجتمع، بالتأكيد كطفل بريء، وليس كقاتل او مجرم.

بالرغم من جميع المصائب التي لحقت بالشعب الكردي العراقي فان المخرج كركي بهذا المشهد الاولي في فيلمه يفتح باباً كبيراً للتفاهم والحوار الاخلاقي والحضاري مع عدوه " من خلال الطفل صدام"،هذا الموقف الانساني الذي يعكسه البيشمركة، بكل فصائلهم، في تعاملهم مع اعدائهم ليس بشيء جديد في اخلاقية نضالهم الطويل ضد الظلم. قدم الفيلم لنا رسالة واضحة صريحة وجريئة بخصوص مبدأ تصليح الذات والتسامح مع النفس والنفس الاخرى، رؤية سينمائية جريئة يلونها الشاب المخرج بحساسية عالية ممزوجة بالحزن والفرح لترتفع الى حرية الذات في شخصه مأطرة بحركة كوميدية " النكتة الخفيفة" في الشخصية الكردية عبر " الممثليين الاساسيين " كهدف واضح وموقف صريح يعبر عنه بشكل الغبار، والعاصفة في حقيقتها لاتفرق بين الطيب والسيء بين القاتل والمقتول بين الانساني واللاانساني، تسحب كل شيء الى الانهيار والزوال والنفي التام والمطلق،تغطي على كل شيء حي،اذا فلماذا لا نتقدم في مساعدة " الطفل صدام" الضحية لنرتقي الى مستقبل اكثر انسانية... الفيلم عالج تراجيديا شعبه الطويلة بالكوميدية السوداء لإيصال الرسالة بطريقة مختلفة متوازنة مغايرة تماما عن مانشاهده من روح التطرف والانحياز والتعصب القومي والوطني العاطفي والنرجسية القاتلة.

انه فيلم عراقي كردي بامتياز يتجلى في بعده الجمالي وفي صيغه الفكرية الإنسانية،يعمل بمعالجة تصاعدية في الحدث ويطرح بنية سينمائية واقعية ليذوب في الحالة الروائية . بالتحديد طريقة معالجة القصة " السيناريو"، قوام الفكرة المليئة بالانعطافات والمفاجآت الجانبية في الخط العام للفيلم قي مزاجه وفي تركيبة بنية الحدث وتفرعاته، سينما تطرح تونة وايقاع ومزاج كردي خالص، بصمات شعرية لنقد الاحداث وطرح مسألة التسامح الوطني والعرقي بين جميع مكونات الشعب العراقي. وهذا النوع من الافلام يساهم في الدفع بالسينما العراقية الكردية مستقبلا إلى مقارنة انتاجاتها بإنتاج بقية الدول الاقليمية والأخرى الحاضرة من خلال أفلامها بغية التطوير شكلاً وتقنية ومضموناً وأداءا واذا استمر هذا الاداء والنهج سينمائيا ومؤسساتيا وحكوميا وبشكله الواعي والمستقل في الرؤية فسيكون لنا سينما جدية "سينما المؤلف " عالمية تعالج وتطرح مشكلة قوام العراق والعراقي وتعيد بناءه الصحيح وتصنع من جديد كرامة شعبه المفقودة.

لقطة من فلم عبور الغبار